هوامش

مسلسل كرتوني كندي بطلته الطفلة السورية «دنيا» يعيد تجسيد رحلة اللجوء من حلب وصولاً إلى كندا، بكلّ مآسيها وانشغالات أشخاصها. المسلسل فرنسي اللغة، سيبث بالإنكليزية والعربية لاحقاً

يعرّف المسلسل الجمهور الغربي على معاناة اللاجئين السوريين (العربي الجديد)

الطفلة دنيا

رحلة لجوء إلى كندا في مسلسل كرتوني

مونتريال ـ **مصطفى عاصي**

باختصار

المُنتجة التنفيذية لشركة «توبو ميديا» جوديث بورغارد، اقترحت على الفنانة ماريا ظريف أن تكتب عملاً فنياً عن اللجوء السوري

■■■

حصد المسلسل المؤلَّف من ثماني حلقات تفاعلاً من المشاهدين في كندا كباراً وصغاراً

■■■

طفلة كندية كتبت رسالة إلى «دنيا» تقول فيها: «أنا أحبك وتأثّرت جداً لخسارتك بيتك، وحزينة على عصفورك الذي مات، لكنّي سعيدة لأنّكِ وجدتِ بيتاً في النهاية»

البيت الذي كانت تغنّي له النجوم وينمو الياسمين على نوافذه في أحياء حلب القديمة، دمَّرته الحرب السورية. بيت تسكنه طيبة الحياة وبساطتها وتنتشي حجارته من تاريخ حاضرة حلب. في تلك الحارة وذلك البيت الذي جسَّدته الرسامة والكاتبة والمخرجة الحلبية ماريا ظريف، قضت الطفلة «دنيا» ست سنوات من عمرها بكنف جدَّها «درويش» وجدَّتها «مونة» قبل أن تدمّره قذيفة ذات ليلٍ حالك. في تلك الليلة، كانت دنيا مع جدتِّها على السطح تفرشان على ضوء القمرمُكتمل الانتفاخ، مربّى الباذنجان. لمَّا استحالت حلاوة الحياة إلى مرارة، وحلب لم تعد حلب، حان موعد التغريبة بحثاً عن بيتٍ بديلٍ يطير الحمام فوقه من دون خوف، ويسهر القمر على شرفته. ذلك البيت تعثر عليه عائلة الجد درويش، في الضفة الأخرى من العالم، في البلد الأبيض، في كنف عائلة مُحِبّة في كندا، هنا تُكمل دنيا حياتها الآن.

دنيا، وجدّها، وجدّتها، وجارتهما المسيحية دبوس، والحانوتي عبدو وزوجته المحجبة، كدسوا أجسادهم في حافلة أقلتهم الى الحدود السورية - التركية بعدما التحق بهم على الطريق جوان، عازف البزق. كلٌّ منهم هام في طريق. الجميع تركوا خلفهم أعماراً أثقلتها الذكريات، إنّما كلّ واحد ترك شيئاً أو شخصاً عزيزاً. دنيا تركت عصفورها وصديقها سامي. جدّها الذي يشبه مطرب حلب صبري المدلل، ترك المذياع، لأنّ الحقيبة لم تتسع له. عجوز يهوى الموسيقى كسائر الحلبيين، ينصاع لزوجته التي تحسّبت لجوع الطريق فخيّرته بين ترف الموسيقى وبين حاجة الطعام، فكانت الغلبة للمكدوس والبسطرمة والجبنة والمربى. حبوب البَرَكَة التي دستها دنيا في جيبها قبيل الرحيل، استطاعت في زحمة الألم زرع بسمات على وجوه المنكوبين خلال الرحلة. حبوب تستعملها جدتها في صنع الجبنة الحلبية، سيكون لها مفعول السحر في تذليل كلّ الصعوبات والعقبات التي تعترض طريقهم.

القصة فيها كثير من الخيال والفانتازيا، لكن في المقابل، فيها كثير من الحقيقة والعِبر والعَبرات. شاءت الكاتبة والمخرجة والرسامة ماريا ظريف، أن تختزل كلّ أطفال سورية بتلك الطفلة التي لا يسعها فرح الأرض والتي خُطف أبوها وقُتلت أمها. هذه القصة تمّ إنتاجها بمسلسل كرتوني أو «أنيميشن» يمكن تصنيفه كأول عمل فني موجه للأطفال الغربيين بأسلوب الرسوم المتحركة، يحكي عن الحرب السورية بلغة مشحونة بالعواطف والمشاعر والذكاء والبساطة، ويسلط الضوء من زاوية إنسانية لا سياسية، على التراجيديا السورية التي دخلت عامها الحادي عشر.

ماريا ظريف، ابنة مدينة حلب كانت هاجرت إلى كندا عام 2000، ودرست فيها الرسم والمسرح. نهلت من مخزونها البصري والوجداني ومن ذكرياتها ومعايشتها البيئة الحلبية، وأبدعت في تجسيد ورسم شخصيات المسلسل وأماكن التصوير، وفي الإخراج بالتعاون مع المخرج الفرنسي الكندي، أندريه قاضي. ولدت الفكرة حين كانت موجات اللاجئين السوريين تتوافد إلى كندا؛ خمسون ألف لاجئ فتحت لهم كندا ذراعيها. شركة «توبو ميديا» الكندية تهتم منذ سنوات طويلة بإنتاج محتوى موجه بشكلٍ أساسي للأطفال والشباب. مع وصول اللاجئين، وجدت أنّ مِن المُهم تعريف الشباب الكندي وغير الكندي في العالم بواقع وحال اللاجئين السوريين؛ من هم؟ من أين أتوا؟ ولماذا تركوا بلادهم؟ وكيف وصلوا؟ الرسالة إذا وصلت بشكل صحيح يمكن أن تستبق وتقلل ردود الأفعال والمواقف العنصرية من قبل المجتمعات المُضيفة، وتقلص خطاب الكراهية والتنميط والخوف من اللاجئين.

المُنتجة التنفيذية لشركة «توبو ميديا» جوديث بورغارد، اقترحت على الفنانة ظريف التي تعمل مديرة إبداعية في الشركة منذ 12 عاماً، أن تكتب عملاً فنياً عن اللجوء السوري. بعد قرابة سنتين تجسّدت الفكرة في شكل مسلسل رسوم متحركة. جهات كندية عدة مولت العمل من بينها المحطة التلفزيونية الرسمية الناطقة باللغة الفرنسية في مقاطعة كيبك، التي عرضت العمل على شاشتها وعلى جميع منصاتها الرقمية. حصد المسلسل المؤلّف من ثماني حلقات تفاعلاً من المشاهدين في كندا كباراً وصغاراً. طفلة كندية، على سبيل المثال، كتبت رسالة إلى «دنيا» بطلة المسلسل، تقول فيها: «أنا أحبك وتأثّرت جداً لخسارتك بيتك، وحزينة على عصفورك الذي مات، لكنّي سعيدة لأنّكِ وجدتِ بيتاً في النهاية».

جوديث بورغارد واحدة من ثلاث منتجات في شركة «توبو ميديا» وقعت بحب الثقافة السورية الغنية، بفضل هذا المسلسل، إذ أحبت جمالية البيئة السورية، من الحارات القديمة إلى ساحاتها وأزقتها وفناءات المنازل الداخلية، ولفتها أكثر دفء العلاقات الإنسانية بين ناسها وأواصر العائلة. هي تأمل أن تزور هذا البلد حين يتعافى. حين زرنا في «العربي الجديد» جوديث في مكتبها سمعناها تدندن جملة «أنا على ديني جنتيني،على دين العشق حرام والله» من أغنية «يا طيرة طيري يا حمامة» للمطرب السوري صباح فخري.

لكن، هل ستكتفي الشركة بإنتاج مسلسل أنيميشن «دنيا» بنسخته الفرنسية؟ في الواقع الدبلجة إلى اللغة الانكليزية انتهت أو تكاد، وسيسمح ذلك بتوزيع المسلسل في المقاطعات الكندية الإنكليزية وفي العالم. كذلك، سيُترجم للغة العربية في سورية، بأصوات فنانين سوريين. في المستقبل القريب، سيتحَّول المسلسل إلى فيلم سينمائي وإلى كتاب. كلّ تلك الأشكال الفنيَّة للمسلسل ستساهم في تكوين ذاكرة جماعية عن معاناة اللجوء التي مرَّ بها الأطفال السوريون. ذاكرة ليست بالضرورة أن تكون سوداوية ومليئة بالألم والحزن، إذ ربما تكون الطفلة رهف عطايا التي سجلت بصوتها مشاهد «دنيا» وتقيم مع أهلها في مدينة مونتريال منذ خمس سنوات، على شاكلة الطفلة «دنيا» المفعمة بالحياة والأمل والإصرار والإنسانية.

كلّ العمل في كفة، والموسيقى التي كتبها وشارك في عزفها الفنان الحلبي المُقيم في باريس فواز باقر، في كفة أخرى. الموسيقى بثّت روحاً وعوالم جميلة، تكاملت مع الصورة والكلمة حتى ظهر العمل بشكله الأنيق والممتع.

وأخيراً

مع السلامة يا صبية

رشا عمران

ذات يوم في منتصف عام 2012، كنت قد أتيت إلى القاهرة، قبل الاستقرار، في انتظار عودةٍ مأمولة إلى سورية، بعد رحيل النظام الذي كنا نظنّه وشيكا. كنت أتكلم مع الصديق المعتقل حاليا، فائق المير. كان قد استقر في الغوطة الشرقية، شأن ناشطين سياسيين وحقوقيين عديدين بعد خروج الغوطة عن سيطرة النظام، وقبل أن يعاود احتلالها جيش الإسلام، ويبدأ الفتك بناشطي الغوطة وبضيوفها الذين رغبوا بإنشاء أول تجربة في حكم الإدارة المدنية بعد الثورة، لتكون مثلا لباقي المناطق، لولا أن إرادة السلاح الذي ظهر بكثافة بيد كتائب سرعان ما تحوّلت إلى جيش منظم، لديه عناصره الأمنية ومعتقلاته وجلادوه، وأدت ذلك الحلم. وبدل أن تصبح الغوطة الشرقية مثلا فيما يجب أن تكون عليه باقي سورية، تحولت حياة البشر فيها إلى كارثة إنسانية، لم تكن أقل هولا من الكارثة التي تسبب بها النظام حين انطلقت الثورة. في ذلك اليوم، أخبرني فائق المير أن رغدة حسن عادت من بيروت تهريبا، بيروت التي قصدْتها، تهريبا أيضا، بعد خروجها من الاعتقال في 2011، وهي موجودة حاليا في الغوطة مع مجموعة من الرفقاء، وسوف تنتقل لاحقا إلى مدينة القصير قرب حمص وعلى الحدود مع لبنان، مع مجموعة أخرى، (كلها مناطق كانت خارجة عن سيطرة النظام تلك الفترة). قال لي فائق يومها: ليتك تأتين أيضا، ليت الجميع يأتون.

شعرت يومها بالحسد من رغدة، من قدرتها على الاستمرار في النضال، مع أنها اختبرت تجربة المعتقل أكثر من مرة. حسدت قوتها وجرأتها، أنا التي لم تمتلك جرأة فعل ذلك يوما، إذ أقصى ما جرؤت عليه، بعد الثورة، هو الكتابة العلنية ضد النظام، والخروج في مظاهرات في دمشق، والمساهمة بفك الحصار عن مناطق محاصرة، قبل أن أرضخ للخوف وأخرج من سورية حماية لابنتي ولي. ثم بدأت أتابع أخبار نشاط رغدة الثوري، وتنقلها بين المناطق (المحرّرة) في ريف دمشق، قبل أن تعود مجدّدا إلى بيروت، بعد اعتقال رفقاء لها في الغوطة، حيث كان زوجها وأولادها ينتظرونها، ثم تقصد فرنسا، كناشطين سوريين كثيرين، وتبدأ مسيرة حياة أخرى كانت لا تقل هولا (على المستوى الشخصي)، من الهول الذي لاقته في حياتها قبلا، من النظام السوري وأمنه وشبّيحته.

التقيت، في عام 2014، رغدة، بعد زمن طويل، في تركيا التي كانت قصدتها هربا من شأن شخصيٍّ سبب لها ضغطا نفسيا مرعبا. أظنه كان أحد أسباب ظهور الورم الخبيث في جسدها لاحقا. كانت ما تزال جميلة، بقوام ممشوق، وطلة لا يمكن لأحد نسيانها أو عدم الاكتراث بها. والأهم بكل لطف روحها، وصوتها الذي يفيض بالتسامح، وهي تسرد لي ما حدث معها وما عانته، في فرنسا من عنفٍ وقهرٍ يتلفان قلب أي كائن بشري وروحه، فكيف بروح بالغة اللطف والرقّة كروحها. أتذكّر، وأنا استمع إليها، أنني تساءلت من أين أتت هذه الشابة، التي لا تعرف كيف تخفي رومانسيتها، بكل تلك القوة التي جعلتها تنخرط سابقا في حزبٍ سياسيٍّ معارض، ثم تتابع نضالها بعد الثورة، تلك الرومانسية التي كانت سببا أيضا في ارتكابها أخطاء على المستويين، السياسي والوطني، جعل من بعضهم يعتبرون نعيها بعد رحيلها، قبل أيام، نوعا من النفاق، باعتبار أن الموت لا يجب أن يلغي ما ارتكبه الشخص في حياته. وهم محقّون في ذلك عموما، غير أن الوضع في حالة رغدة كان مختلفا. لم تكن رغدة قائدة سياسية، ولم تكن منظّرة. كانت امرأة حالمة بالحب والعدالة، تتبع في ذلك حدسها الشخصي الذي قد لا يكون على صواب دائما، فالنساء اللواتي يتبعن حدسهن وقلوبهن يكن أبعد البشر عن المعادلات الحسابية في السياسة وغيرها، يتعاملن مع تلك المساحة من الخطأ كما لو أنها أمرٌ عادي وطبيعي، وهو ما كانت رغدة حسن تماما عليه، وما مكّن الورم الخبيث من جسدها.

لم تقتل رغدة أحدا. لم تتسبب بالأذية لأحد، وإن حدث ذلك، وأجزم بنفي ذلك، فلم يكن سوى عن سوء تقدير، بل على العكس، تلقت، في حياتها القصيرة، أذى كبيرا، لم تشكُ منه يوما، ولم تستعرضه ولم تزايد به، شدّت عليه بروحها وجسدها حتى فتك بها تماما. ثمّة كثيرٌ مما يقال عن رغدة حسن، وما تعرّضت له من المنظومة الذكورية الاجتماعية والسياسية، من دون حتى أن يصيبها الحقد على تلك المنظومة، ومن دون أدنى حد من الكراهية تجاه من تسبّبوا لها بالأذى.

> تلقت رغدة حسن، في حياتها القصيرة، أذى كبيراً، لم تشكُ منه يوماً، ولم تستعرضه ولم تزايد به

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**